الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة القاجارية

دكتور/ عوض راشد عوض الجويسري
مدرس التاريخ الإسلامي المنتدب بجامعة الكويت

اولاً الدولة القاجارية بين النشأة والتأسيس: القاجاريون في أصلهم طائفة من الجنس المغولي[١] جاؤوا من بلاد المغول مع الغزاة التتار[٢]في عهد جنكيز خان[٣] إلى البلاد الإسلامية وكان مقامهم إذ ذاك في الجزء ما بين الشام وإيران[٤] خاصة في أرميني[٥]

(١) الجنس المغولي : قوم نشأوا في أواسط أسيا في منطقة منغوليا ويطلق هذا اللقب على كل من يتكلم اللغة المنغولية (أنظر ابن كثير : البداية والنهاية تحقيق وتدقيق علي شيري ط١ دار إحياء التراث بيروت لبنان ٤٢٧/١ – د.عمر كحالة معجم قبائل العرب دار العلم للملايين بيروت لبنان ط٢ ١٩٦٨م ١٢٣/١)

(٢) التتار:: قبائل كانت تسكن في بلاد الاستبس شمال شرقيَّ بلاد المغول ، و جنوبيَّ سهول سيبيريا الجليدية ، و قد انضمَّ كثيرٌ منهم إلى جنكيز خان ، ثمَّ بدؤوا زحفهم نحوا الغرب ، غارتهم على المسلمين و مجازرهم عند دخول بغداد معروفةٌ مشتهرة يُضرب بها المثل (ابن حجر: لسان الميزان مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان ط٢ ١٩٧١م ٣٧٣/٥- الذهبي : سير أعلام النبلاء تحقيق د. بشار عواد ود. محي هلال السرحان ط٩ ١٩٩٣م مؤسسة الرسالة بيروت لبنان ١٠٩/٢٢ – الصفدي: الوافي بالوافيات تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى دار إحياء التراث بيروت ٢٠٠٠م ٦/٢- الزبيدي: تاج العروس تحقيق علي شيري دار الفكر بيروت ١٩٩٤م ٣٢٩/٦)

(٣) جنكيز خان: عاش ما بين عامي ١١٦٥- ١٢٢٧م)وهو مؤسس الإمبراطورية المغولية والتي اعتبرت أضخم إمبراطورية في التاريخ وفي نهاية حياته احتل جزءاً ضخماً من أواسط أسيا والصين، وقبل أن يتوفى قسم إمبراطوريته بين أبنائه وأحفاده، ودفن في قبر مجهول لا يعرف بالضبط أين مكانه في منغوليا (أنظر المقريزي: إمتاع الأسماع تحقيق محمد عبد الحميد النميسي ط١ ١٩٩١م دار الكتب العلمية بيروت لبنان٣١٦/١٢- حاجي خليفة : كشف الظنون تحقيق محمد شرف الدين بالتقايا ورفعت الكليسي دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ٢/ ٩٦٧- السيد البراقي: تاريخ الكوفة تحقيق ماجد أحمد عطية ط١ ١٤٢٤ه أنتشارات المكتبة الحيدرية ٢١٩- السيد محسن الأمين: أعيان الشيعة تحقيق حسن الأمين دار التعارف للمطبوعات بيروت لبنان ٨/ ١٦٣)

(٤) إيران: تقع إيران في موقع جغرافي مميز فهي دولة في الشرق الأوسط كان يطلق عليها حتى بداية القرن الماضي فارس يحدها من الشرق باكستان وأفغانستان ومن الشمال تركمانستان، وبحر قزوين وأرمنينا وأذربيجان ومن الغرب تركيا والعراق، ومن الجنوب الخليج العربي وخليج عمان (الطبري: تاريخ الطبري تحقيق نخبة من العلماء الأجلاء ط٤ ١٩٨٣م مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان ٧٥/١- ابن الأثير: الكامل في التاريخ دار صادر بيروت ١٩٦٦م ٢٢٠/١- ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ط٤ دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان ٤٢٢/١ – عباس إقبال الاشتياني: تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (٢٠٥ه-٨٢٠م) (١٣٤٣ه- ١٩٥٢م) نقله عن الفارسية د. محمد علاء الدين منصور راجعه أ.د. السباعي محمد السباعي دار الثقافة للنشر القاهرة ١٩٨٩م ص٩_١٠- سعيد الصباغ : تاريخ إيران السياسي جذور التحول الدار الثقافية للنشر ١٩٠٠م ص ١٢-١٣- محمد منظور نعماني الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام ترجمة الدكتور محمد البنداري دار عمار للنشر والتوزيع عمان ط١ ١٩٨٧م ص٦-٧)

(٥) أرمينية: بلد غير ساحلي يقع في جنوب القوفاز تقع بين البحر الأسود وبحر قزوين ويحدها أذربيجان وجورجيا وجنوب غرب إيران وتركيا أرضها جبلية في الغالب مع سرعة تدفق الأنهار، وبعض الغابات، وأيضا كانت مملكة أسيا الصغرى يطلق عليها أرمينيا العظمى شرق نهر الفرات وأرمينيا اليوم هي الجزء الشرقي من أرمينية القديمة التي كانت تقع غرب نهر الفرات، وكانت المملكة قد أسسها حاج هيك بن نوح. ياقوت: معجم البلدان ١٥٩/١)

ويرجع بعض المؤرخين نسب القاجاريين إلى قاجار نويان بن سرتاق نويان الذي جاء مع قوات هولاكو إلى إيران، وأصبح له أولاد وأحفاد كثيرون، ولتعالي نفوذ هذه الأسرة في عهد غازان خان انتسب إليهم طوائف كثيرة اشتهروا بالقاجار [١] وليس هناك ذكر للقاجاريين في التاريخ إلا أبان ظهور الدولة الصفوية[٢]وقد أسهمت هذه القبيلة التي تعد إحدى القبائل السبع في تأسيس الدولة الصفوية بقيادة الشاه إسماعيل الصفوي وتقديم مساعدات قيمة مكنتهم من فرض سيطرتهم على إيران كافة في القرن الخامس عشر الميلاد [٣]وبعد زوال الدولة الصفوية دخلت الأسرة القاجارية في منازعات مع الأفشاريين والزنديين وإستطاع محمد حسن خان مؤسس الدولة القاجارية بسط نفوذه على نواحي إيران معلنا تأسيسه للدولة القاجارية [٤] اتخذت الدولة القاجارية من طهران عاصمة لها بعد أن كانت عاصمة الملك قبل ذلك في أصفهان حيث نقل مؤسس الدولة القاجارية أغا محمد خان عاصمة الملك من أصفهان إلى طهران والفترة

(١) د.حسن كريم الجاف: موسوعة تاريخ إيران السياسي ١٧٧/٣- – عباس إقبال الاشتيناني : إيران عند العرب والترك والفرس من بداية الدول ص٧٤١

(٢) الدولة الصفوية : الصفويون هم آل صفويان: سلالة من الشاهات حكمت في بلاد فارس (إيران) سنوات ١٥٠١-١٧٨٥ م)و المقر الرئيسي لها :تبريز: حتى ١٥٤٨ م، قزوين: ١٥٤٨-١٥٩٨ م، أصفهان: منذ ١٥٩٨ م.أسس الشيخ صفي الدين الأردبيلي (١٢٥٢-١٣٣٤م) طريقته الصوفية في أردبيل (أذربيجان) سنة ١٣٠٠ م. أصبحت أردبيل عاصمة دينية ثم سياسية لأتباعه (مع تحولها إلى حركة سياسية). تحول أبناء هذه الطائفة منذ منتصف القرن الـــ١٥ م إلى المذهب الشيعي. نجح الصفويون في الوصول إلى الحكم (على بعض المناطق) أثناء زعامة جنيد (١٤٤٧-١٤٥٠ م) ثم حيدر (١٤٦٠-١٤٨٨ م)، والذين استطاعا إنشاء تنظيم سياسي وتكوين وحدات خاصة من الجيش، أو القزلباش (القزل باش أو الرؤوس الحمراء نسبة إلى التاج أو العمامة الحمراء التي يرتديها أتباع الطريقة الصفوية، وترتبط العمامة بإثني عشرة لفة تلميحا للأئمة الإثنى عشر).تولى إسماعيل الصفوي (١٥٠١-١٥٢٤ م) منذ سنة ١٤٩٤ م زعامة التنظيم وقام بالدعوة إلى المذهب الشيعي. استولى على مناطق غيلان (گيلان)، واصل سنوات ١٤٩٩-١٥٠١ في توسعه حتى شمل كامل بلاد فارس (إيران)، قام بطرد القراقويونلو سنة ١٥٠٧م واستولى العراق. أقر المذهب الشيعي الإثني عشري مذهبا رسميا للدولة (أنظر السيد طالب الخرساني: نشأة التشيع ١٩٩١م انتشارات الشريف الرضي ص٤٦- السيد المرعشي: شرح إحقاق الحق تحقيق شهاب الدين المرعشي تصحيح السيد إبراهيم الميانجي منشورات آية الله العظمى المرعشي النجفي قم إيران بدون سنة طبع ٢/١- الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار تحقيق الشيخ حسن بن علي النمازي مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم ١٤١٨ ص٤٧٦ – آقا بزرك الطهراني: الذريعة لتصانيف الشيعة دار الأضواء بيروت لبنان بدون سنة طبع ٣٣٠/٤- عمر كحالة: معجم المؤلفين دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان بدون سنة طبع ٧٦/٧- السيد محمود جواد العاملي: مفتاح الكرامة تحقيق محمد باقر الخالصي ط١ س١٤٢٣ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم ص٣٠٧ – كمال السيد: الدولة الصفوية نشوء وسقوطدراسة تحليلية ط٢ ٢٠٠٧م الناشر باقيات إيران ص٧

(٣) د.حسن كريم الجاف: موسوعة تاريخ إيران ١٧٨/٣

(٤) سيأتي الحديث عن المذهب الشيعي ألإمامي في الناحية الدينية---- الشيخ جعفر البحاني: أضواء على عقائد الشيعة الإمامة ط١ ١٤٢١١ هجرية مؤسسة الصادق ص٣٣٢ – الشيخ جعفر السبحاني: رسائل ومقالات ص٩٥)

التي ملكت فيها الدولة القاجارية إيران من سنة.(١١٩٣- ١٣٤٣هجرية. إلى سنة ١٨٧٥- ١٩٢٤م،وكان المذهب الرسمي لهذه الدولة هو المذهب الشيعي الأمامي[١] وتوالى على عرش إيران أثناء حكم هذه الدولة سبعة حكام سنذكر في السطور التالية نبذة مختصرة عن كل واحد منهم حتى يكون القارئ على دراية تامة بهذه الدولة فأولهم أغا محمد خان الذي استغرقت فترة حكمه من عام (١١٩٣ - ١٢١١هجرية) أي نحو ثمانية عشر عاماً ملكاً ذا تدبير وشجاعة ولكنه إيذاء ذلك كان يغلب على طبعه الشدة والقسوة، وعبادة المال والحرص الشديد، و لذلك ارتكب أفعالاً قبيحة تنم عن نكرانه للجميل ، لسوء فعلته بلطف علي خان الزندي وسائر الزنديين، مع تلك الرأفة والرحمة التي عامله بها كريم خان ، واصطدامه المتكرر مع إخوانه، وقتله أخاه جعفر كل ذلك الأعمال تجعله موضع لوم كل رجل منصف[٢] وتولى الحكم بعده فتح علي شاه فاسمه خانبا باجها نباني ، ابن أخو أغا محمد خان ، بعد وفاة أغا محمد خان أعلن نفسه شاهاً على إيران، ولقب نفسه فتح علي شاه، منذ ٢٠ صفر ١٢١٢ هجرية ، وتوج نفسه شاهاً رسمياً في عيد الفطر من تلك السنة في عاصمة ملكه طهران[٣]وكان فتح علي شاه طوال فترة حكمه والتي استمرت ٣٨ عاماً على الدوام في تحرك وانشغال بمصارعة الثوار بالداخل والأعداء بالخارج، ومع أنه لم يكن يميل إلى القتال ويفضل عليه الراحة والميل إلى الملذات الشخصية إلا أن أوضاع عهده ألجأته إلى الحرب، ولكن ما يؤخذ عليه أنه لم يحضر الحرب بنفسه وخاصة حروب الأجانب التي لم يأتها بشخصه، اللهم إلا مرة وصل فيها أذربيجان لتشجيع الجيش على جهاده ضد الروس ، ولكن المفاجأة أنه ما إن سمع بهزائم جنود ولي عهده حتى كر راجعاً إلى عاصمة ملكه [٤] غير أن الانتصارات التي حدثت في عهده ترجع إلى كفائة بعض أبنائه، وقواده الأقوياء التي قضوا طوال مدة سلطنته في القضاء على الثوار الكثيرين على الحكم وحفظوا إيران تحت أمر وحكم واحد بالرغم من سياسة الأجانب العدائية، وهجماتهم عليها [٥] وتولى الحكم بعده محمد شاه وهو ثالث ملوك الدولة القاجارية بن

(١) عباس إقبال الإشتيناني : تاريخ إيران بعد الإسلام منذ بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية ص٧٧٧

(٢) شاهين ماريوس: تاريخ إيران ص٢٣٥

(٣) عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام ص٧٩٦

(٤) المصدر السابق ص٧٩٦

(٥) عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام ص٧٩٧ – شاهين مكاريويس : تاريخ إيران ص٢٤٠

عباس ميزا ولي العهد الذي توفى قبل والده فتح علي شاه بسنة واحدة، اسمه محمد ميرزا بن عباس ميرزا، جلس على العرش في تبريز في ٧ رجب سنة ١٢٥٠ هجرية- ١٨٣٤م)[١] وتولى بعده ناصر الدين شاه والتي استطاعت والدته أن تفعل فعل السياسيين العظام يوم وفاة السلطان محمد شاه فنجحت في تنصيبه على العرش، وفي حل عروة الدسائس الكثيرة التي دسها الطامعون في اختلاس الملك حيث أرسلت إليه لكي يحضر بسرعة فائقة فلبى وحضر وتسلم أمور السلطنة [٢]والذي بقي فيها مدة قاربت الخمسين عاماً، وهذا من سوء حظ الإيرانيين أن مدة حكم ناصر الدين شاه لم تسفر عن أي عمل إيجابي على الرغم من محاولة أمير كبير[٣]طيلة تصدر منصب رئاسة الوزراء لتغيير أوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية بأي شكل من الأشكال لتصادمه مع الحاشية الفاسدة لناصر الدين شاه. وتولى الخلافة بعد مظفر الدين شاه الذي ولد عام (١٢٦٩هجرية) وهو رابع أبناء ناصر الدين شاه وولي العهد لوفاة أخواه الأكبر منه معين الدين ميرزا ، وأمير قاسم خان في صغرهما بعد أن نال كلاهما ولاية العهد أحدهما بعد الآخر، ولم يبلغها الابن الثالث لناصر الدين شاه مسعود ميرزا ظل السلطان، والذي كان يكبر مظفر الدين بثلاث سنوات، بسبب أن أمه لم تكن من الأسرة الحاكمة، وظل مظفر الدين شاه في ولاية العهد من عام (١٢٧٤هجرية) حين ولي العهد وهو ابن الخامسة حتى قتل والده فظل أربعين سنة في ولاية العهد[٤]وظل حكمه (١٣١٣- ١٣٢٤هجرية) وسادس الملوك محمد علي شاه (١٣٢٤- ١٣٢٧هجرية) (١٩٠٧- ١٩٠٩م) يصفه المؤرخون، بأنه كان طاغياً جاهلاً مستبداً طماعاً متجاوزاً على أموال الناس كما كان طموحاً قاسياً ارتكب جرائم بحق الأبرياء ولاسيما عندما كان حاكماً في تبريز، وكان لسوء تربيته وإسرافه في شهواته وإحاطة نفسه بحاشية

(١) شاهين مكاريوس – تاريخ إيران ص٢٤٣

(٢) لمن أراد المزيد عما فعله أمير كبير الرجوع إلى ميرزا تقي خان – أمير كبير لمؤلفه عباس إقبال تهران ١٣٤٠ هجرية

(٣) عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام ص٢٣٨- د. حسن كريم جاف: موسوعة تاريخ إيران ٣٣/٣ - شاهين مكاريوس: تاريخ إيران ص٢٥٨- ٢٥٩

(٤) الدليل على تظاهره بالتدين أنه كان يجلس في العاشر من محرم من كل سنة في جلسات العزاء التي يقيمها الشيعة حزناً على الحسين، ويمشي حافياً في الأزقة والشوارع حاملاً أربعين شمعة إلى أربعين مسجداً، وكان يحضر مسجد الحاج محمد حسين ويؤدي الصلاة خلفه ويأمر بكتب الأدعية والصلوات فهمي هويدي : إيران من الداخل ط٤ ١٩٩١م مركز الأهرام للترجمة والنشر ٢٤١- ٢٤٥

فاسدة آثر في سلوكه، بالرغم أنه كان متظاهراً بالتدين[١]معتقداً بالخرافات والفال والسر والشعوذة، يستخير بالقرآن في كل ما يتقدم عليه من أعمال ويفسر استخارته المجتهد الحاج سيد محمد أبو طالب الزنجاني الذي كان رجعي التفكير مخالفاً للدستوريين، وذا حظوة كبيرة لديه لا يرد له طلب ، ومن أبرز صفات محمد علي شاه الجبن على الرغم من التظاهر بالشجاعة وقوة الإرادة. أحمد شاه (١٣٢٧- ١٣٤٣ه) (١٩٠٩- ١٩٢٤م) ابن محمد علي شاه تولى السلطنة مكان أبيه المخلوع، وقد أجلسه الثوار الأحرار في الثامن والعشرين من جمادي الآخرة (١٣٢٧هجرية) مكان أبيه وكان عمره في ذلك الوقت اثنا عشر عاماً [٢] وكان عهده عهد الأزمات السياسية الحادة التي مرت بتاريخ إيران، وفي الحقيقة يعد عهده من العهود السياسية الصعبة التي مرت بها إيران خلال تاريخها الطويل، وأصبحت إيران في عهده ألعوبة سهلة بأيدي الدول الأجنبية الطامعة في خيرات البلاد ولا سيما الدولتان البريطانية والروسية وشهد حكمه نشوب الحرب العالمية الأولى عام (١٩١٤- ١٩١٨م) وتعرضت إيران لمآسيها وويلاتها وبعد أربعة أشهر من تولي أحمد شاه عرش إيران تشكل المجلس التشريعي الثاني في الثاني من ذي القعدة ١٣٢٧هجرية - ١٩٠٩م) وقد واجه المجلس العديد من الأزمات خلال عمره القصير تلك الأزمات السافرة التي خلفتها الدولتين البريطانية والروسية في شئون إيران الداخلية، وكانت هاتان الدولتان تعاديان الحكومة الدستورية، ومجلسها التشريعي المنتخب من قبل الجماهير الإيرانية التي وضعت ثقتها في الحكومة الدستورية التي كانت ترجو الكثير والكثير [٣]

ثانياً الحياة الاجتماعية : ارتفعت منزلة رجال الدين في العصر القاجاري وخصص لهم خمس أرباح التجار والزراع وأصحاب رؤوس الأموال على أنهم ورثوا الأنبياء تطبيقاً للتفسير الشيعي لقوله تعالى: "وأعلموا أنما غنتمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقى الجمعان والله على كل شيء قدير" [٤]

---

(١) عباس إقبال: تاريخ إيران بعد الإسلام ص٨٤٨ - علي النماري: مستدرك سفينة البحار ٢٧١/١

(٢) د. حسن كريم جاف: موسوعة تاريخ إيران ٣٣٤/٣

(٣) سورة الأنفال: آية ٤١

(٤) السيد علي الخامنئي: أجوبة الاستفتاءات ط١ ١٩٩٩م الناشر الدار الإسلامية للطباعة والنشر والتوزيع بيروت لبنان ١٠٢/٢- المظاهري: الفضائل والرذائل ط١ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم ص٧٦

فأصبحت طبقة رجال الدين في العصر القاجاري من قوى طبقات المجتمع الإيراني ، وأكثرها ثراءً ، مما هيأ لأفرادها التدخل في الأمور السياسية في إيران [١]

وقد أدى تميز طبقة رجال الدين إلى كثرة المتحمسين بالدين المتاجرين به، فانتشرت البدع والخرافات في المجتمع الإيراني وقد كان ملوك الدولة القاجارية يشجعون على ذلك ويعتقدون بكرامة رجال الدين مثلما حدث مع محد علي شاه الذي كان يعتقد بالخرافات والفال ويستخير بالقرآن ويفسر ذلك له أبو طالب الزنجاني المخرف كما ذكرنا ذلك ووضحناها في ص١٢ وأغلبية حكام القاجاريين كانو يشجعون على ذلك ومر ذلك معنا في حديثنا عن حكام القاجاريين ، فراجت الأباطيل مما يسر ظهور حركات دينية مضللة تبشر بقرب ظهور الإمام الغائب، وكان آخر هذه الحركات الدينية المضللة حركة البابية التي ظهرت في عصر محمد شاه القاجاري، وقد روج لهذه الحركة ميرزا محمد علي الشيرازي الذي عاش في الفترة ما بين(١٢٢٥ه - ١٢٦٦ه) (١٨٠٩- ١٨٥٠م) وقد أتخذ الشيرازي لقب الباب " أي الباب بين دنيا المادة ودنيا الروح"

واشتغل منذ شبابه بالدراسات الدينية، وكان من المؤمنين بالأفكار التي دعا إليها الشيخ أحمد الإحسائي زعيم الحركة الشيخية، ومن أهم ما يؤمن به أتباع هذه الحركة ضرورة وجود نائب للإمام الغائب يسمى "الشيعي الكامل" [٢]وقد رحب بتعاليمه عد كبير من الشيعة في إيران فأدعى أنه نقطة التجلي الإلهي في هذا العالم، وأن موعد ظهور الإمام الغائب قد حان، ودعا إلى سلام دائم، وإلى إزالة الفوارق بين الطبقات، وإلى تفسير الدين تفسيراً روحياً لا حرفياً فكثر أتباعه وإزداد نفوذه فأعلن أن الإمام الغائب سيظهر قريباً في غربي إيران، فكان في هذا الإعلان نهايته، فقد كفره علماء الشيعة لاعتقادهم أن الإمام الغائب سيظهر في المشرق فأفل نجم الباب، وتم القبض عليه، وقدم للمحاكمة ثم حوكم وأعدم رمياً بالرصاص في عصر ناصر الدين شاه ابن محمد شاه وكان ذلك عام (١٢٦٦ه- ١٥٨٠م) [٣]

---

(١) الشيخ المفيد: رسالة المتعة ط٢ ١٩٩٣م دار المفيد للطباعة والنشر بيروت لبنان ص٣- المحقق الحلي: شرائع الإسلام تعليق السيد الشيرازي ط١ ١٤٠٩ هجرية انتشارات استقلال طهران ٥٤٤/٧

(٢) جمال الدين الأفغاني : الأعمال الكاملة دراسة وتحقيق محمد عماره بيروت المؤسسة العربية للدراسات والنشر ط١ ١٩٨١ - ٢/ ٢٧٤

(٣) وجيه كوثراني : الفقيه والسلطان ص١٣٣

وكفر أتباع الباب بعد إعدامه، وتنافس أخوان من أتباعه على زعامة طائفة البابية هما ميرزا حسين وميرزا يحي وانقسمت الطائفة إلى جماعتين، واتخذ ميرزا حسين لقب (بهاء الله) وعرفت جماعته باسم(البهائية) ومزج بها بهاء الله دعوته ببعض الأفكار المضللة التي كانت سائدة في أوربا حول تحرير المرأة والتحلل من التكاليف الشرعية، وصاغ دينياً لا يعترف بطقوس خاصة، ولا بنظام معين في العبادة، وهرب من إيران، واتخذ مدينة عكا [١]بفلسطين مركزاً ووجدت تعاليمه المضللة من يخدع بها في مختلف أنحاء العالم [٢]

كان للمذهب الشيعي في إيران آثره على مظاهر النشاط البشري من الناحية الاجتماعية، فقد حدث تغير في طبقات المجتمع، فأصبحت طبقة رجال الدين طبقة مميزة، تتدخل في توجيه حياة الناس الدينية، وفي الشئون

يظهر تأثير المذهب الشيعي في مظاهر الحياة الدينية في إيران في العصر القاجاري ففي الآذان يضيف الشيعة عبارة "اشهد أن علياً أمير المؤمنين ولي الله" [٣]مرتين بعد عبارة " أشهد أن محمداً رسول الله" كما يضيفون عبارة حي على خير العمل مرتين بعد عبارة حي على الفلاح [٤]وفي الصلاة يسجد الشيعة على التربة، وهم يحملون معهم قطعاً من الطين الجاف، ويضعونها أمامهم في وقت الصلاة، ليسجدوا عليها ويفضل لو كانت من تربة كربلاء وهي ما تسمى بالتربة الحسينية ومكتوب على هذه القطع عبارة " تربت أعلى حال كربلاء" أي أفضل التراب تراب كربلاء[٥]والشيعة لا يصلون خلف إمام سني، كما أن رجال الدين عندهم يلبسون عمامة سوداء إظهاراً للحزن على استشهاد الحسين بن علي رضي الله عنه، وإذا ذكر إمام من أئمتهم من آل علي ذكروا بعد اسمه عبارة " عليه السلام" وأحياناً " عليه الصلاة والسلام" وهذه عبارة

(١) دونالدولبر: إيران ماضيها وحاضرها ص١٠٠- د. حسن كريم الجاف: موسوعة تاريخ إيران السياسي ٢٧٣/٣

(٢) التبغ الإيراني: نبات يخرج منه النكوتين الذي يصنع منه السجاير

(٣) المولى علي الروزوري: تقريرات آية الله المجدد الشيرازي ط١ ص٤٠ – آقا بزرك الطهراني: حصر الحصاد تحقيق محمد علي الأنصاري مطبعة الخيام قم ١٤٠١ ص٥٦

(٤) د.حسن كريم الجاف: موسوعة تاريخ إيران ٢٧٤/٣

(٥) دونالد ولبر: إيران ماضيها وحاضرها ص٩٥

لا يذكرها أهل السنة إلا بعد الأنبياء أما غير الأنبياء فتذكر بعدها رضي الله عنه [١] السياسية المختلفة خاصة إذا كان الملك ضعيفاً [٢]

السمة الواضحة والظاهرة والتي لا تحتاج إلى بحث وتدقيق أن ملوك الدولة القاجارية كلهم كانوا ضعاف كما بينا سابقاً ، وهذا الضعف السائد على ملوك الدولة القاجارية رفع منزلة رجال الدين وجعلهم يتدخلون في الأمور السياسية ولكن تدخلهم كان بالسلب لا الإيجاب فبدلاً من أن يقوا من عزيمة الملوك زادوهم ضعفاً على ضعفهم فالواجب على رجال الدين أن يكونوا ناصحين أمناء في نصحهم وخصوصاً أنهم لا يبتغون جاهاً ولا سلطاناً بل لا يبتغون إلا مرضاة الله عز وجل والدار الآخرة لا الدار الدنيا ولكن رجال الدين في العصر القاجاري ابتغوا الدنيا فأصبحت طبقتهم مميزة عن العامة مما جعل هناك فروقاً اجتماعية واضحة

وأدى ذلك أيضاً إلى إعطاء طبقة رجال الدين خمس الأرباح التجارية والزراعية والصناعية للزعماء الدينيين، كما ذكرنا فازداد المتاجرين بالدين مما أدى إلى انتشار البدع والخرافات والأباطيل في المجتمع القاجاري [٣] الدليل الواضح على كون الخمس فريضة مخترعة ، على الرغم من مكانتها الهائلة وتأثيرها البالغ في تاريخ المذهب الشيعي ، هو أنه حتى أواخر القرن الخامس الهجري لم يكن هناك شئ في الفقه الشيعي يسمى الخمس ، وجميع كتب الفقه في المذهب التي ألفت قبل هذا التاريخ ليس بها باب أو حتى مسئلة تتحدث عن هذه الفريضة المزعومة ، وأحد مؤسسي الحوزة العلمية في النجف ، واحد اكبر فقاءهم ، والذي يطلقون عليه شيخ المذهب : محمد بن حسن الطوسي ، لم يذكر في كتبه الفقهية الأشهر لدى الشيعة أي شئ عن فريضة الخمس هذه ، رغم أنه عاصر أوائل القرن الهجري الخامس ..

وقد بدأ الحديث عن الخمس إبان الخلافة العباسية ، التي لم تكن تفرض لعلماء الشيعة أي أعطيات أو مخصصات لعدم اعترافها بمذهبهم ، ولم تكن الأموال الموقوفة من أثرياء الشيعة كافية ، وكانت النتيجة أن الفقهاء وطلاب العلم في المذهب كانوا يعانون من الفقر والعوز الشديدين ، وكان المخرج الذي تفتقت عنه الأذهان وقتها تقديم تفسير

(١) سعيد الصباغ: تاريخ إيران السياسي جذور التحول ص١١

(٢) وجيه كوثراني: الفقيه والسلطان ص١٢٩

(٣) الشيخ علي الكوراني العاملي : معجم أحاديث الإمام المهدي ط١ ١٤١١ - محمد جواد مغنية: الشيعة في الميزان ط٤ ١٩٧٩م دار التعارف للمطبوعات ص٩٧-

جديد مخترع للآية الكريمة (واعلموا أنما غنمتم من شيء فأن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) وهذا التفسير البدعي المزعوم يعني أن يدفع الإنسان خمس ما يغنمه في الحرب أو في غير الحرب حسب التقسيم المذكور في الآية ، فالخمس إذن واجب في كل فائدة تحصل للإنسان من المكاسب وأرباح التجارة وفي الكنوز والمعادن والغوص وغير ذلك ، و الأصل لدى الشيعة أنه يدفعها للإمام ، ولأن الإمام غير موجود فهو يدفعها لنائبه ، أي المرجع الديني الذي يقلده والحال هكذا أصبح منصب المرجع منصبا تهفو إليه القلوب وتتطلع له الأنظار، لأنه مصب القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ، وأصبحت البلد التي تجمع كبار المرجعيات وتعد عاصمة المذهب الشيعي وقبلته العلمية ، خليقة بأن توضع في مصاف الدول ، كونها تجمع بقوة المال نفوذا وسلطانا هائلين ،وقد أدى هذا إلى انتشار البدع والخرافات والأباطيل.

مما أدى إلى شيوع ظاهرة إقامة مآتم العزاء الحسيني ، وما يكون فيها من بدع ومحدثات ، يقول أحمد كسروي : " ففي أيام القاجاريين في إيران كانت إقامة المأتم والاحتفال بمصاب الحسين شغلاً شاغلاً للشيعة ، يقضون نصفاً من ساعاتهم فيها ، وكان الناس يزيدهم إقبال عليها ما كانوا يسمعون من الأحاديث في فضل البكاء ، فقد روي عن أئمة الشيعة أنه : « من بكى أو أبكى أو تباكى وجبت له الجنة » فمن المسلّم عند الشيعة أن البكاء على الحسين من أفضل العبادات ، وأن من بكى عليه غفر الله ذنوبه ولو كانت عدد الرمال ... » الخ .

ولقد سمعت من بعض المعمرين الذين أدركوا عهد قيام الملك ناصر الدين شاه ، كبير ملوك السلسلة القاجارية ، في زيارته . للعتبات المقدسة في العراق ، سنة ١٢٨٧ هـ ، أنه حينما كان يزور مشهد الإمام الحسين عليه السلام وهو عند ضريحه المطهر ، إذ خطب أمامه أحد خطباء المنبر الحسيني خطبة مؤثرة جداً عن الفجيعة الحسينية ، وتطرق أثناء كلامه الى كلمة يقال انها بدرت يوم عاشوراء من الإمام الحسين عليه السلام في أحرج ساعاته ، وهي : « هل من ناصر ينصرني ؟ » فقال الخطيب صارخاً : أن ناصرك قد أتى ، وهو الآن بين يديك لينصرك فضج الجميع بالبكاء ، وكان نحيب ناصر الدين شاه وبكاؤه أعظم منهم وأنه رفع تاجه من رأسه وألقاه بحرارة أمام الضريح من شدة التأثير . "

كما أدى ضعف إيران السياسي في العصر القاجاري إلى ازدياد النفوذ الأجنبي في هذه البلاد، وكان لهذا أثره في المجتمع الإيراني، فقد شهد عصر فتح علي شاه انتقال كبير من العادات والتقاليد الأوربية إلى المجتمع الإيراني الشيعي نتيجة لاتصال إيران بكثير من الدول الأوربية كانجلترا، وفرنسا وأسبانيا ، والبرتغال، وروسيا القيصرية فأخذت العادات والتقاليد الأوربية في اللباس والطعام والحفلات تظهر في إيران، كما أخذ الإيرانيون يقتبسون بعض الكلمات الفرنسية والانجليزية والروسية ويستعملونها في أحاديثهم وكتاباتهم[١] وكان فتح علي شاه ملكاً فاسداً منحرفاً يقضي أوقاته في اللهو والعبث واتخاذ الخليلات والمحظيات، وتعاطي الشراب فساعد ذلك على انتشار الفساد والانحراف في المجتمع الإيراني خاصة بين أصحاب النفوذ والأثرياء[٢] كان لابد من حاشية الملك وأصحاب النفوذ والجاه في الدولة القاجارية أو في البلاط القاجاري أن يقلدوا الشاه فيما يفعل ويقوم بمثل ذلك الأثرياء فانتشرت الفواحش والمنكرات بين أفراد هذه الطبقة مما أدى إلى الضعف في المجتمع وانتشار الانحلال مما يجعل الطبقة الكادحة الفقير تحقد على هذه الطبقة وانتشر التنازع الداخلي بين الطبقات. [٣] وأيضا مما أنتشر في المجتمع الإيراني زواج المتعة وكان له تأثيره على المجتمع الإيراني في وكانت صلات إيران بأوربا تزداد كلما أزداد النفوذ الغربي في هذه البلاد فيزداد الاقتباس من العادات والتقاليد الغربية العصر القاجاري فزواج المتعة في العقيدة الشيعية:إن الصورة التي يطرحها الفكر الشيعي لزواج المتعة، تجعل منه علاقة جنسية محضة، تربط رجلا بامرأة، دون أن تكفل لها أي حق من الحقوق التي يكفلها لها الزواج، كالإرث والسكنى والنفقة، ويجعل المرأة وسيلة مجردة للمتعة وقضاء الوطر، لتنال قدرا من المال أسموه مهرا.وليس لهذا الزواج شرط سوى صيغة العقد، وذكر المهر والمدة، وصورته أن يلقى رجل امرأة فيعرض عليها التمتع، ويذكر الصيغة بأن يقول لها أريد التمتع بك، وتقول متعتك بنفسي أو نحوها، ويتفقان على المهر، ويحددان

(١) الشيخ محمد صادق النجفي: أضواء على الصحيحين تحقيق الشيخ يحي كمال البحراني ط١ ١٤١٩ هجرية الناشر مؤسسة المعارف ٱسلامية قم ص٣٧٧- السيد جعفر مرتضى زواج المتعة ط١ ١٤٢٢هجرية -٢٠٠١م دار السيرة بيروت لبنان ٣٧٣/٣

(٢) الشيخ باقر شريف القرشي: حياة الإمام الحسين ط١ ١٩٧٤م ص٣١٥

(٣) الشيخ الصدوق: الهداية تحقيق مؤسسة افمام الهادي ط١ ١٤١٨ هجرية مؤسسة الإمام الهادي للنشر ص٢٩٨- الحر العاملي: وسائل الشيعة ٢٩٥/١٠- الشيخ الصدوق: من لا يحضره الفقيه ٥٦٢/٣

المدة ولو يوما واحدا [١]وكان لهذا أثره الواضح في المجتمع الإيراني فول فرضنا أن هذا الزواج كان نتاجه طفلاً أين مصير هذا الطفل بل يكثر في المجتمع أبناء السفاح واللقطاء مما يجعل المجتمع يكثر فيه الجريمة والأبناء الذين ليس لهم هوية ، وهكذا إتباع إيران للمذهب الشيعي في العصر القاجاري كان له تأثيره الواضح في ألوان النشاط البشري مما أدى إلى تقسيم المجتمع إلى تقسيمات غير متكافئة فطبقة رجال الدين والعلماء أصبحوا في طبقة عظمى وذلك لأنهم يأخذون الخمس مما جعل التنافس على هذه المرجعية مبتغى كل إنسان حتى يحصل من خلالها على كل ما يريد من أموال وجاه وسلطان حتى أن الحكام أنفسهم كانوا يتقربون منهم ويضمونهم إليهم حتى أصبحت هذه الطبقة قوة لا يستهان بها في تأثيرها على العامة وأيضا البعض أخذ إتباعه لهذه الطبقة حتى يحصل على ما يريد من مبتغيات الدنيا مما أثر بالسلب على المجتمع الإيراني والذي يزيد الأمر سوءاً أنهم بدئوا يقلدون الغرب تقليد أعمى

ثالثا الحياة الاقتصادية: كان للدولة القاجارية أثرها الواضح على النشاط البشري في إيران وظهر ذلك من خلال ضعف قواده ، مما أدى إلى ازدياد النفوذ الغربي في هذه البلاد، فحاولت الدول الكبرى، وبخاصة روسيا القيصرية وانجلترا، الحصول على امتيازات تجارية في إيران [٢]

وأخذ التنافس بين روسيا وانجلترا في الميدان الإيراني صورة التدخل الاقتصادي، لأن النهضة الصناعية في الغرب كانت تتطلب الحصول على المواد الخام، وعلى الأسواق الجديدة لتعريف المنتجات، فتنافست روسيا وانجلترا في الحصول على امتيازات في إيران، وتعرضت إيران لغزو اقتصادي[٣]

ففي عام ١٨٧٢م تمكن البارون رويتر الانجليزي من الحصول على موافقة ناصر الدين شاه على منحه حق إنشاء السكك الحديدية وطرق المواصلات بالسيارات واستغلال الثروة المعدنية والبترول لمدة سبعين عاماً، كما وافق الملك على منح رويتر حق الإشراف على الشئون الجمركية لمدة أربعة وعشرين سنة، ولكن روسيا اعترضت

(١) السيد محسن الأمين: أعيان الشيعة ٣٠٤/٦- الشيخ الأميني: الغدير ١٤٥/٩

(٢) ابن أبي الحديد : شرح نهج البلاغة ١٠٥/٥

(٣) الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل مكتبة النشر الإسلامي بقم ط١ ٣٩٤/٨

على هذه الامتيازات فاضطر ناصر الدين شاه لسحبها من رويتر، ثم حاول إرضائه فمنحه حق إنشاء مصرف رسمي باسم " المصرف الإمبراطوري" (٥٣) [١]

وفي عام ١٨٩٠ م عقد ناصر الدين شاه اتفاقية مع شركة إنجليزية باحتكار (التبغ الإيراني)[٢] وأثر هذا الامتياز للشركة الأجنبية على الحركة التجارية الداخلية والسوق المحلية، وحاول الأهالي إثناء الشاه عن عقد هذه الاتفاقية، فأصر على إبرامها وتنفيذها وتنص هذه الاتفاقية على أن تتولى الشركة زراعة التبغ، وبيعه وتصديره لمدة خمسين عاماً بدءاً من سنة ١٨٩٠م ، فقد أصدر العلماء فتوى بتحريمها مما أثنى الشاه عن هذه الاتفاقية [٣]

ولم تقف روسيا مكتوفة اليدين بل حاولت الحصول على امتيازات في إيران، واستطاعت في عام ١٨٧٩م أن تقنع ناصر الدين شاه إنشاء لواء من القوازف من الإيرانيين على نمط فرق القوازف الروسية على أن يقوم ضباط من الروس بتدريب اللواء الإيراني، كما استطاع أحد كبار تجار الروس الحصول على حق الصيد في بحر قزوين، ووافقت إيران كذلك على فتح مصرف روسي في طهران ١٨٩١م [٤]

وازدادت صلة ناصر الدين شاه بأوربا، فتبادل التمثيل السياسي مع عدد من دولها، وزار أوربا مرتين فاقتنع بفائدة الاقتباس من النظم الأوربية، وشجع الأجانب على الوفود إلى إيران وإعطائهم امتيازات كثيرة مما زاد من النفوذ الاقتصادي الأجنبي في هذه البلاد [٥]وظل النفوذ الغربي قوياً في إيران موجها لنشاط إيران الاقتصادي طوال العصر القاجاري [٦] فمواجهة السيطرة الأجنبية والتصدي للاحتلال ، واستيعاب مشاكل تجار البازار والحرفيين الذين تضرروا من جراء الغزو الاقتصادي الغربي ولعل الحلف الذي قام بين تجار البازار في طهران ومرجع الحوزات يفسر جانباً من الضرر

(١) وجيه كوثراني في الفقيه والسلطان ١٢٨

(٢) نفسه ١٢٩

(٣) نفسه ١٢٩

(٤) انظر محسن الأمين في أعيان الشيعة ٦٩/٨

(٥) انظر الذريعة في تصانيف الشيعة ٥/ ١٢٢

(٦) قضية التنباك : معاهدة عقدها ناصر الدين شاه مع بعض الشركات الانجليزية وذلك بإحتكار التباك أنظر الشيخ الأنصاري : الموسوعة الفقهية الميسرة ط١ مجمع الفكر الإسلامييي ٥١٥/٣ وللتوسع في قضية التنباك ، ارجع إلى وجيه كوثراني في الفقيه والسلطان ١٢٩ .

الذي أصاب التجار من جراء الغزو الإقتصادي الغربي للأسواق الإيرانية ومن جراء سياسة الدولة القاجارية المشجعة للامتيازات الأجنبية (١)

إذن يتبين أن سياسة الدولة القاجارية سواء تجاه الرعية أو سياستها تجاه الدول الأجنبية وتشجيعها الأجانب على أخذ تسهيلات داخل إيران أدى إلى تأخر إيران اقتصادياً وليس هذا فحسب بل آثر على الشعب الإيراني صاحب الحق الأساسي في هذه البلد وأضر به أضراراً بالغة

كان للنشاط العلمي في إيران في القرون التي غلبت فيها الصبغة السنية على هذه البلاد آثرها الواضح فقد ساهمت إيران في المدة التي غلبت فيها الصبغة السنية في بناء صرح الحضارة الإسلامية الراقية وكان فيها علماء أفذاذ في مختلف العلوم الشرعية كالحديث والتفسير والفقه، وغير الشرعية كالتاريخ والجغرافيا والرياضيات، بل وفي العلوم العربية كالنحو والصرف والعروض(٢) ظهر التعصب المذهبي وصارت موضوعات الكتب العلمية ذات طابع شيعي واضح في العلوم الشرعية وغير الشرعية من حديث وتفسير وفقه و فقد حرص علماء المذهب الشيعي على إثبات وجهة نظر الشيعة الإمامية في المسائل الدينية المختلفة مثل الإمام والصوم والزكاة والحج وظهر زاواج المتعة وسائر الأمور الدينية واستعان علماء الشيعة في كتبهم الشرعية المختلفة بتفسير الأحاديث النبوية والآيات القرآنية تفسيراً موجهاً يتفق مع رأي الشيعة في أمور الدين وكثيراً ما كانوا يستشهدون بأحاديث ضعيفة أو موضوعة لم تثبت نسبتها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم (٣)

وظهر التأثير المذهبي في العصر القاجاري في الكتب غير الشرعية ككتب التاريخ فقد فسر المؤرخون من الشيعة أحداث التاريخ الإسلامي تفسيراً يخدم كفاح الشيعة من أجل

(١) السيد ابن طاووس: الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ط١١٣٩٩ هجريةمطبعة الخيام قم ص٥٠٧-المجلسي : بحار الأنوار ٢٧٣/١٠٨- الأحمد الميانجي: مواقف الشيعة ٥٢/١٣- آقا بزرك الطهراني: الذريعة ٤/٣- الصفدي: الوافي بالوافيات ٢٢٣/٢١

(٢) آقا بزرك الطهراني: الذريعة ١٥٦/٧- محسن الأمين: أعيان الشيعة ١٤٧/١٠- الحر العاملي: وسائل الشيعة ٥٩٣/١٤- الميرزا النووي: مستدرك الوسائل ٣٨٥/١٠- المجلسي: بحار الأنوار ٣١٤/٤٧ – محمد صادق الأميني: معجم المطبوعات النجفية ط١ ١٣٨٥

(٣) المحقق النزافي: مستدرك الشيعة ١٤٤/١٤- المجلسي : بحار الأنوار ٢٩١/٤٤

الظفر بخلافة المسلمين، فعدوا تحرك الحسين بن علي رضي الله عنهما من الحجاز إلى العراق ثورة إسلامية كبرى لإنقاذ الإسلام من خطر الأمويين [١]

كما شوه مؤرخو الشيعة تاريخ الأمويين تشويهاً عجيباً، ظانيين أنهم قتلوا الحسين بن علي في كربلاء يوم عاشوراء من ٦١ للهجرة [٢] فسلبوهم صفة الإسلام ، وصبوا عليهم اللعنات، وفعلوا نفس الشيء مع العثمانيين [٣]ومع كل من ناصب الشيعة العداء عبر العصور الإسلامية المختلفة وربط علماء الشيعة الفتوة بالعقيدة، فقالوا : إن أول من لقب بفتى هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه وأن لقب فتى نزل على لسان جبريل عليه السلام يوم بدر أو يوم أحد وأصبح منذ ذلك الوقت يطلق على علي بن أبي طالب لما أبلاه في الجهاد في سبيل الله من ضروب الشجاعة والقوة والبسالة [٤]

وظهر أثر التعصب المذهبي في بعض مسائل العقيدة فمثلاً يعتقد الشيعة أن إسراء الرسول صلى الله عليه وسلم ومعراجه كان بالروح فقط لا بالجسد والروح كما يعتقد أهل السنة [٥](٦٦) وهكذا آثر التعصب المذهبي الشيعي في العصر القاجاري تأثيراً واضحاً وملموساً إلى عصرنا هذا.

وكان ملوك الدولة القاجارية حريصين على توطيد علاقتهم بعلماء ذلك العصر ، لما لذلك من فوائد على مستوى الحكم واستتاب الأمر ، وتنوعت أساليب تلك العلاقات ما بين تزاوج ومصاهرة في إطار علاقات مؤسسية متكاملة في الوظائف[٦] ، غير أن تلك العلاقات لم تكن تلقى نجاحا كاملا بالشكل المطلوب في كثير من الأحيان ، فيلاحظ وجود اتجاهات غير موالية للشاه ، كما كان بين الفقيه الأصولي محمد باقر بهباني وما شاب علاقته بالشاه ، حيث كان يرى البهباني وجوب الاستقلالية للحوزة العلمية ، بعيدا عن الضغوط السياسية ، ومن النماذج التي تؤيد ذلك الاتجاه الميرزا محمد حسن الشيرازي الفقيه المجتهد الذي رفض استقبال الشاه عند مدخل النجف أو زيارته في

(١) الحر العاملي: وسائل الشيعة ١٣/ ٢٤٨- الفاضل الهندي: كشف اللثام ٣٦٤/١

(٢) الشيخ الكليني: الكافي ط٣ دار الكتب الإسلامية طهران هامش ص ٢٦٤- الميرزا النوري: مستدرك الوسائل ١٣ /٤٦٤- المجلسي: بحار الأنوار ٢٣٩/٤٤

(٣) حسن الأمين : مستدركات أعيان الشيعة٢٣/١

(٤)سبق ذكر ذلك في الحديث عن الشاه ناصر الدين ص٩

(٥) الميرزا جواد التبريزي : صراط النجاة ط١ ١٩٧٩م ٤٤٣/٣

(٦) الشيخ المنتظري: دراسات المكاسب المحرمة ط١ ١٤١٧ هجرية مكتبة آية الله العظمى المنتظري ص٥٤٣

محل إقامته ، وكذلك رفض هداياه المالية[١] ، بينما أذعن أغلب المحدثين والأخباريين لسلطان الدولة وسلطتها على الحوازات الدينية كما هو موقف الكركي ومحمد باقر المجلسي [٢]

وقد برز في عصر دولة القاجاريين كثير من علماء الفرقة الإمامية ، كان لهم أثر واضح في تعميق البعد الطائفي ، وتكريس الغلو في طيات المذهب ، منهم :

الميرز حسن الشيرازي(١٢٣٠ - ١٣١٢ هـ) ولد في شيراز، وتتلمذ على المرتضى الأنصاري ، وهاجر إلى سر من رأى ، وانتهت إليه رياسة علماء الإمامية في عصره، وصارت إليه المرجعية، وجعل له في كل بلد ممثلا ، وسيقت إليه الأخماس، وتخرج عليه جماعة منهم إسماعيل الصدر، والميرزا محمد تقي الشيرازي .

عبد الله المازندراني (١٢٥٦ ــ ١٣٣٠) ولد في بارفروش ، ودفن في النجف ، أخذ على الملا الأيرواني ، والعلامة الرشتي، وكان وصيه الذي قام مقامه في التدرس، وأخذ مجلسه في التدريس، واصبح من المبرزين في النجف الأشرف، ومن المقلدين في نواحيها، وتصدى للقضاء أياما ثم تركه، له حاشية على المكاسب للشيخ الأنصاري.[٣]

الميرزا محمد حسين نائيني (ت ١٣٥٥ هـ) ، وله كتاب (تنبيه الأمة وتنزيه الملة) له مواقف معادية للمعممين الخاضعين لسلطان الدولة الجائرة ، وخاض معارك فكرية كثيرة لتقرير فهمه للشورة ، وعدم تعارضها مع سلطة الفقيه في الفكر الشيعي [٤]

وأخيرا يتضح لنا أن العلماء كان لهم دور بارز في الدولة القاجارية ، سواء على مستوى الموالاة أو المعارضة ، مما أتاح سجالا علميا في عصر القاجاريين ، بين علماء الإمامية أنفسهم ، وبينهم وبين علماء أهل السنة ، الذي تمثل في الخلاف الذي حصل بين الميرزا محمد حسن الشيرازي من جانب الإمامية ، والشيخ جمال الدين الأفغاني من جانب آخر من أهل السنة ، حول قضية التنباك [٥]

ظهر أثر المذهب الشيعة واضح في الناحية الأدبية المكتوبة شعراً ونثراً باللغة الفارسية أو باللغة العربية في العصر القاجاري فراج في هذه الموضوعات الأدبية مدح أئمة

---

(١) الكليني : الكافي ٤٦١/١

(٢) المجلسي : بحار الأنوار ١٧٠/٤٥

(٣)الميرزا جواد التبريزي : صراط النجاة ط١ ١٩٧٩م ٤٤٣/٣

(٤)الكليني : الكافي ٤٦١/١

(٥)المجلسي : بحار الأنوار ١٧٠/٤٥

الشيعة الأثنى عشر ابتداء من علي بن أبي طالب إلى محمد بن الحسن العسكري الإمام الثاني عشر صاحب الزمان والمهدي المنتظر عندهم، وإلى جانب مدح هؤلاء الأئمة وذكر مناقبهم وتعداد مفاخرهم وأمجادهم راج في الموضوعات الأدبية رثاء الأئمة الذين استشهدوا في سبيل نصرة الإسلام، وبخاصة الإمام الحسين بن علي رضي الله عنه الذي استشهد في كربلاء[١] وصار البكاء على الحسين مذهبا متبعا عند الشيعة سواء في العصر القاجاري أو غيره من الدول الشيعية الأخرى وذلك عند الحكام والعظماء والعلماء والعامة[٢]، وأصبح البكاء يتم في مواكب دينية حاشدة تطوف الشوارع والطرقات في الأيام الأولى من شهر محرم إلى يوم عاشوراء [٣]

كما أصبحت موقعة كربلاء تمثل تمثيلاً مسرحيا مما جعل الموضوعات الأدبية في العصر القاجاري تتضمن مسرحيات مذهبية شيعية تصور مصرع الحسين الذي يعد سيد الشهداء[٤] ولم يقتصر التأثير المذهبي الشيعي على الموضوعات الأدبية بل ظهرت كذلك في الموضوعات الأدبية التي تعالج النواحي السياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها من ألوان النشاط المختلفة في هذه البلاد[٥]

وقد كان حكام الدولة القاجارية منهم من يهتم بالشعر مثل ناصر الدين شاه والذي كان له ديوان شعر بالفارسية [٦]

فالدارس للأدب يستطيع أن يفهم الأثر المذهبي الشيعي في الناحية الأدبية، ووضوح هذا الأثر في موضوعات الأدب وفي أسلوبه وألفاظه، بحيث أصبحت ملامح الأدب في إيران تختلف عن ملامح في باقي الدول التي تتبع المنهج السني

ظهر التآثير الشيعي في الفنون الإيرانية في العصر القاجاري فأصبح اللون الأسود من الألوان التي تستعمل كثيراً بواسطة الفنانين الإيرانيين، لأنه رمز الحزن والحداد على

(١)حسن الأمين : مستدركات أعيان الشيعة٢٣/١

(٢)المحقق النزافي: مستدرك الشيعة ١٤٤/١٤- المجلسي : بحار الأنوار ٢٩١/٤٤

(٣)حسن الأمين : مستدركات أعيان الشيعة٢٣/١

(٤)انظر الذريعة في تصانيف الشيعة ٥/ ١٢٢

(٥)حسن الأمين : مستدركات أعيان الشيعة٢٣/١

(٦)المجلسي : بحار الأنوار ١٧٠/٤٥

مصرع أئمة الشيعة الذين استشهد أكثرهم وفي مقدمتهم الحسين بن علي رضي الله عنه[١]

وتفنن الرسامون الإيرانيون في رسم صور لأئمة الشيعة فظهرت صورة لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه الإمام الأول عندهم وللحسين بن علي ولسائر أئمة الشيعة[٢]

كما غلبت نغمة الحزن على الموسيقى والغناء وكان هذا الحزن نابعاً من تأثير الشيعة بمقتل الحسين وقتل أئمتهم مما جعل الشيعة يكثرون البكاء وبخاصة في يوم عاشوراء حتى أصبح البكاء عقيدة ومذهباً وعبادة تكفر الذنوب مما جعل نغمة الحزن في الموسيقى والغناء شيئاً لازماً لإثارة الرغبة في البكاء عند الشيعة المتدينين[٣]

والدارس للفنون الإيرانية في العصر القاجاري يستطيع أن يشاهد في سهولة ويسرتأثير المذهب الشيعي في سآئر الفنون الإيرانية من رسم ونقش ونحت وتصوير وموسيقى وغناء وتمثيل وصناعات مختلفة مما يدل على أن هذه الصبغة الشيعية لم تقتصر على النشاط السياسي في إيران طوال العصر القاجاري وإنما اشتملت جميع أنواع النشاط البشري في إيران.

(١)الكليني : الكافي ٤٦١/١

(٢)المجلسي : بحار الأنوار ١٧٠/٤٥

(٣)الكليني : الكافي ٤٦١/١

المصادر والمراجع:

١- القرآن الكريم

٢- ابن كثير : البداية والنهاية تحقيق وتدقيق علي شيري ط١ دار إحياء التراث بيروت لبنان

٣- د.عمر كحالة معجم قبائل العرب دار العلم للملايين بيروت لبنان ط٢ ١٩٦٨م

٤- ابن حجر: لسان الميزان مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان ط٢ ١٩٧١م

٥- الذهبي : سير أعلام النبلاء تحقيق د. بشار عواد ود. محي هلال السرحان ط٩ ١٩٩٣م مؤسسة الرسالة بيروت لبنان

٦- الصفدي: الوافي بالوافيات تحقيق أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى دار إحياء التراث بيروت ٢٠٠٠م

٧- الزبيدي: تاج العروس تحقيق علي شيري دار الفكر بيروت ١٩٩٤م

٨- المقريزي: إمتاع الأسماع تحقيق محمد عبد الحميد النميسي ط١ ١٩٩١م دار الكتب العلمية بيروت لبنان

٩- حاجي خليفة : كشف الظنون تحقيق محمد شرف الدين بالتقايا ورفعت الكليسي دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان

١٠ - السيد البراقي:تاريخ الكوفة تحقيق ماجد أحمد عطية ط١ ١٤٢٤ه أنتشارات المكتبة الحيدرية

١١ - السيد محسن الأمين: أعيان الشيعة تحقيق حسن الأمين دار التعارف للمطبوعات بيروت لبنان

١٢ - الطبري: تاريخ الطبري تحقيق نخبة من العلماء الأجلاء ط٤ ١٩٨٣م مؤسسة الأعلمي للمطبوعات بيروت لبنان

١٣ - ابن الأثير: الكامل في التاريخ دار صادر بيروت ١٩٦٦م

١٤ - ابن خلدون: تاريخ ابن خلدون ط٤ دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان

١٥ - عباس إقبال الاشتيناني: تاريخ إيران بعد الإسلام من بداية الدولة الطاهرية حتى نهاية الدولة القاجارية (٢٠٥ه- ٨٢٠م) (١٣٤٣ه- ١٩٥٢م) نقله عن الفارسية د. محمد علاء الدين منصور راجعه أ.د. السباعي محمد السباعي دار الثقافة للنشر القاهرة ١٩٨٩م

١٦ - سعيد الصباغ : تاريخ إيران السياسي جذور التحول الدار الثقافية للنشر ١٩٠٠م

١٧ - محمد منظور نعماني الثورة الإيرانية في ميزان الإسلام ترجمة الدكتور محمد البنداري دار عمار للنشر والتوزيع عمان ط١ ١٩٨٧م
١٨ - ياقوت: معجم البلدان دار الفكر بيروت
١٩ - د.حسن كريم الجاف: موسوعة تاريخ إيران السياسي دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان بدون سنة طبع
٢٠ - السيد طالب الخرساني: نشأة التشيع ١٩٩١م انتشارات الشريف الرضي
٢١ - السيد المرعشي: شرح إحقاق الحق تحقيق شهاب الدين المرعشي تصحيح السيد إبراهيم الميانجي منشورات آية الله العظمى المرعشي النجفي قم إيران بدون سنة طبع
٢٢ - الشيخ علي النمازي الشاهرودي : مستدرك سفينة البحار تحقيق الشيخ حسن بن علي النمازي مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم ١٤١٨
٢٣ - آقا بزرك الطهراني: الذريعة لتصانيف الشيعة دار الأضواء بيروت لبنان بدون سنة طبع
٢٤ - عمر كحالة: معجم المؤلفين دار إحياء التراث العربي بيروت لبنان بدون سنة طبع
٢٥ - السيد محمود جواد العاملي: مفتاح الكرامة تحقيق محمد باقر الخالصي ط١ س١٤٢٣ مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم
٢٦ - كمال السيد: الدولة الصفوية نشوء وسقوطدراسة تحليلية ط٢ ٢٠٠٧م الناشر باقيات إيران
٢٧ - الشيخ جعفر البحاني: أضواء على عقائد الشيعة الإمامة ط١ ١٤٢١١ هجرية مؤسسة الصادق
٢٨ - الشيخ جعفر السبحاني: رسائل ومقالات دار إحياء التراث العربي بيروت ط١ ١٤٠٢ه
٢٩ - شاهين ماريوس: تاريخ إيران دار الأمانة الافاق العربية القاهرة ٢٠٠٣م
٣٠ - أمير كبير لمؤلفه عباس إقبال تهران ١٣٤٠ هجرية
٣١ - فهمي هويدي : إيران من الداخل ط٤ ١٩٩١م مركز الأهرام للترجمة والنشر
٣٢ د. جواد جعفر الخليلي : محاكمات الخلفاء وأتباعهم ط١ ١٤٢١ه – ٢٠٠١م دار الإرشاد للطباعة والنشر بيروت لبنان
٣٣ - العاملي : الانتصار ط١ ١٤٢٢ه- ٢٠٠٢م دار السيرة بيروت لبنان
٣٤ - آقا بزرك الطهراني ١٣٨٩م الذريعة في تصانيف الشيعة ط٢ دار الأضواء بيروت لبنان

٣٥ - صالح الورداني : السيف والسياسة ط١ ١٩٩٦م دار الجسام القاهرة
٣٦ - - القلقشندي: نهاية الآرب في معرفة أنساب العرب
٣٧ - ابن حجر: فتح الباري شرح صحيح البخاري دار إحياء التراث العربي بيروت ط١ ١٤٠٢ه
٣٨ - مسند إلامام أحمد بن حنبل مؤسسة قرطبة القاهرة الأحاديث مذيلة بتعليق شعيب الأرنؤوط
٣٩ - ابن كثير: البداية والنهاية متبة المعارف بيروت
٤٠ - المقدسي : أحسن التقاسيم تحقيق غازي طليمات وزارة الثقافة والارشاد دمشق ١٩٨٠م
٤١ - ابن كثير : تفسير القرآن العظيم دار المعرفة للنشر والتوزيع ١٩٩٢م
٤٢ - الأحمدي الميانخي: مواقف الشيعة ط١ ١٤١٦ه مؤسسة النشر الإسلامي التابعة لجماعة المدرسين بقم
٤٣ - البيهقي: السنن الكبرى دار الفكر
٤٤ - ابن كساكر : تاريخ مدينة دمشق تحقيق علي شيري دار الفكر للنشر بيروت لبنان ١٤١٥ه
٤٥ - الذهبي : سير أعلام النبلاء تحقيق شعيب الأرنؤط ط٩ ١٩٩٣م مؤسسة الرسالة بيروت
٤٦ - حامد حفني داوود : نظرات في الكتب الخالدة مراجعة تعليق مرتضى الرضوي ط١ ١٩٧٩م دار العلم للطباعة القاهرة
٤٧ - ابن أبي الحديد شرح نهج البلاغة تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم مؤسسة إسماعيليان
٤٨ - الشريف المرتضى: الانتصار مؤسسة النشر الإسلامي بقم شوال ١٤١٥
٤٩ - أحمد فاضل سعدون الجادري: أحكام المرآة المفقود عنها زوجها في المذاهب الخمسة ص٥١- الشيخ المنتظري: دراسات في ولاية الفقيه وفقه الدولة الإسلامية ط١ ١٤١١ ه دار الفكر إيران
٥٠ - الشيخ محمد أمين زين الدين: كلمة التقوى ط٢ ١٩٩٣م الناشر السيد جواد الأداعي
٥١ - المنهاجي الأسيوطي : جواهر العقود تحقيق سعد عبد الحميد محمد السعدني ط١ ١٩٩٦م دار الكتب العلمية بيروت لبنان
٥٢ - مولى محمد صالح المازندراني ط١ ١٩٩٦م دار الكتب العلمية بيروت لبنان ص٢٣٠ تحقيق الميرزا أبو الحسن الشعراني تصحيح السيد علي عاشور

٥٣ - العلامة المجلسي: بحار الأنوار تحقيق عبد الرحيم الشيرازي ط٣ ١٩٨ مؤسسة المعارف العربي الإسلامية قم دار إحياء التراث العربي بيروت
٥٤ - خير الدين الزركلي : الأعلام ط٥ ١٩٨٠ دار العلم للملايين بيروت لبنان
٥٥ - المحقق الأردبلي: مجمع الفائدة تحقيق الحاج أغا مجتبى العراقي والشيخ علي يناه الشتهاردي والحاج آغا حسين اليزدي مؤسسة النشر العلمي بقم١٤٠٤ه
٥٦ - المحقق البحراني : الحدائق الناضرة صفر ١٤٠٩ ه مؤسسة النشر الإسلامي بقم
٥٧ - الشيخ فضل الله النوري : قاعدة ضمان اليد تقيق الشيخ قاسم شيرزاده ط١ ١٤١٤ه مؤسسة النشر الإسلامي بقم
٥٨ – الحر العاملي : الفصول المهمة في أصول الأئمة تحقيق محمد بن محمد الحسيني الفائيني ط١ ١٤١٨مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا
٥٩ - الشيخ هادي النجفي: ألف حديث في المؤمن ط١ ١٤١٦ مؤسسة النشر العلمي قم
٦٠ - السيد ابن طاووس: إقبال الأعمال تحقيق جواد القيومي الأصفهاني ط١ ١٤١٦ه مكتب الإعلام الإسلامي
٦١ - السيد أحمد آل طاووس: عين العبرة في غين الفترة دار الشهاب بقم بدون سنة طبع
٦٢ - ابن منظور: لسان العرب ١٤٠٥ نشر أدب الحوزة قم إيران
٦٣ - ابن حجر: فتح الباري ط٢ دار المعرفة للطباعة والنش بيروت لبنان
٦٤ ابن عبد البر الاستيعاب تحقيق علي محمد البجاوي ط١ ١٤١٢ه بيروت دار الجيل
٦٥ - الطبري: تاريخ الطبري تحقيق نخبة من العلماء مؤسسة الأعلمي للمطبوعات
٦٦ - المحقق الأردبلي: مجمع الفائدة تحقيق الحاج أغا مجتبى العراقي والشيخ علي يناه الشتهاردي والحاج آغا حسين اليزدي مؤسسة النشر العلمي بقم١٤٠٤ه
٦٧ - المحقق البحراني : الحدائق الناضرة صفر ١٤٠٩ ه مؤسسة النشر الإسلامي بقم
٦٨ - الشيخ فضل الله النوري : قاعدة ضمان اليد تقيق الشيخ قاسم شيرزاده ط١ ١٤١٤ه مؤسسة النشر الإسلامي بقم
٦٩ – الحر العاملي : الفصول المهمة في أصول الأئمة تحقيق محمد بن محمد الحسيني الفائيني ط١ ١٤١٨مؤسسة معارف إسلامي إمام رضا